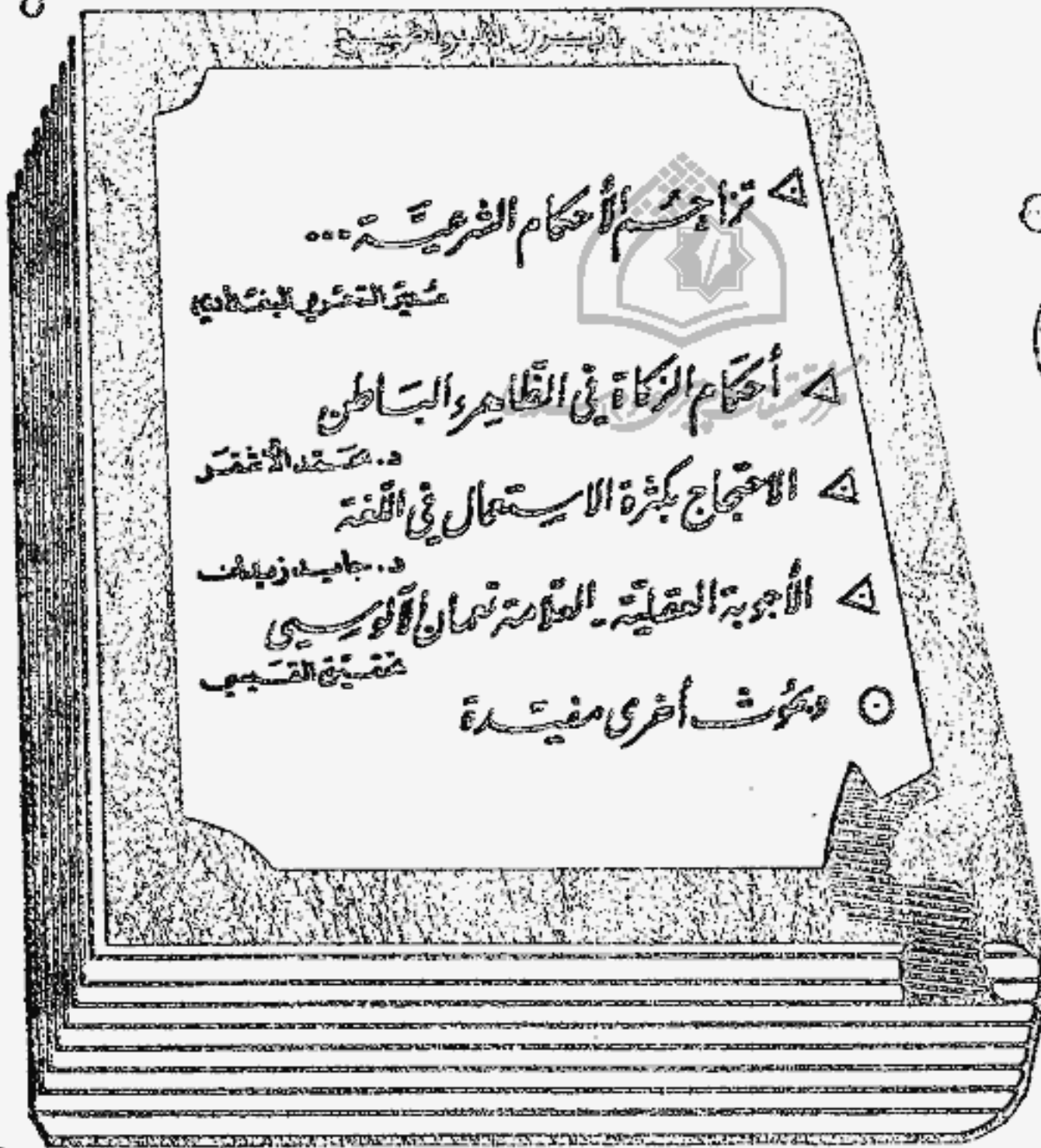


الكتاب الثاني
بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين



الدراسة

مجلة بحثية علمية شرعية ثقافية تصدر كل أربعة أشهر



الحكمة

مجلة علمية شرعية تصدر كل أربعة أشهر تقني بالبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق المخطوطات
رئيس التحرير: وليد بن أحمد الحسين أبو عبد الله الزبيري
مدير التحرير: المهندس أبو بكر بن عبد العزيز البغدادي

بريطانيا - ليدز:

P.O.BOX: HP 70 Tel: 741829
LEEDS
LS6 IXN,
U.K



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

أسعار المجلد

السعودية	٢٠	ريال سعودي	الكويت	١,٧٥٠	دينار كويتي
الإمارات	٢٠	درهم إماراتي	الأردن	١,٧٥٠	دينار أردني
أمريكا	٦	دولار أمريكي	كندا	٧	دولار كندي
بريطانيا	٤	جنيه استرليني	فرنسا	٧٠	فرنك

المقدمة

الاستشارة

مجسدة

الحكمة

١- الشيخ الدكتور عمر بن سليمان الشقر

الأستاذ المشارك بالجامعة الأردنية - كلية الشريعة

٢- الشيخ عبد الرحمن عبد الوهاب

رئيس لجنة البحث العلمي بجمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية

٣- الشيخ الدكتور ناصر بن عبد الله القفاري

أستاذ في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - القصيم - قسم العقيدة

٤- الشيخ الدكتور سعد بن عبد الله الحميد

أستاذ في جامعة الملك سعود - كلية التربية - قسم الدراسات الإسلامية في الرياض

٥- الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

باحث متفرغ - الأردن - عمان

الاحتجاج بكثرة الاستعمال في اللغة العربية

د. جابر زيد الخلف

الاحتجاج بكثرة الاستعمال في اللغة العربية يرد في الألفاظ التي كثر دورانها على ألسنتهم ، والألفاظ إذا كثر دورانها مالوا بها إلى التخفيف ، والتخفيف يأخذ ألواناً متعددة ، منها ما يكون بالحذف ، والحذف قد يكون من الرسم فقط ، كما في البسمة ، والأسماء الموصولة للمفرد والجمع ، وقد يكون من الرسم ، واللفظ معاً ؛ كما في حذف حرف النداء ، وياء الإضافة مع لفظة (رَبِّ) خاصة ، أو حذف حرف الجر مع (أن) الخفيفة والثقيلة .

وقد يكون التخفيف في القلب ، كما في لفظة (أشياء) و (هار) ، وقد يكون في التغير عن الأصل ، كما في لفظة (تعال) .

وقد يكون التخفيف في تغيير الحركة أو نقلها ، كما في (أل) التعريف وقد يكون في الإمالة .

قال ابن خالويه : « وهم يخففون ما كثر استعماله ؛ أما بحذف وإمالة وإما بتخفيف ، ودليل ذلك ؛ إمالتهم (النار) لكثرة الاستعمال ، وتفخيم (الجار) لقلة الاستعمال »^(١) . أ. هـ .

(١) (الحجة) : (٩٤) .

وإليك مسرداً بالفاظ خففت لكثرة الاستعمال :

١- البسملة: كُلُّ أمر لا يُبتدأ فيه بذكر الله فهو أجزم ، مقطوع الصلة ، محقوق البركة ، لذا لمَّا كثر دوران البسملة على ألسنتهم استوجب ذلك تخفيفها ، والتخفيف حصل في ثلاثة ألفاظ منها:

أ- (بسم) : حيث حذف منها الألف في الخط لكثرة الاستعمال ، وطولت الباء لمكان حذف الألف ، ولا تحذف في غير (بسم الله) ، ولهذا كُتِبَ: ﴿إقرأ باسم ربك﴾^(١) ، ولا تحذف الألف منه إذا أدخلت عليه غير الباء من حروف الجر ، لقولك: لاسم الله حلاوة ، ولا اسم كاسم الله^(٢).

وقال مكي بن أبي طالب: « وحذف الألف من الخط في (بسم الله) لكثرة الاستعمال ، وقيل ؛ حذفت لتحرك السين في الأصل ، لأن أصل السين الحركة ، وسكونها لعل دخلتها . وقيل: حذفت للزوم الباء هذا الاسم . فإن كتبت: (بسم الرحمن) ، أو (بسم الخالق) ، حذفت الألف أيضاً عند الأخفش ، والكسائي . وقال الفراء: لا تحذف إلا في (بسم الله) فقط . فإن أدخلت على اسم الله غير الباء من حروف الخفض لم يجوز حذف الألف عند أحد ، نحو قولك: ليس اسم كاسم الله ، وقولك لاسم الله حلاوة »^(٣).

وقال صاحب المطالع النصيرية: « في البسملة الكريمة الكاملة تحذف منها ألف (اسم) لكثرة الاستعمال ، بشرط أن لا يذكر متعلق الباء ، لا متقدماً ، ولا متأخراً ، مثل: باسم الله الرحمن الرحيم استفتح ، أو استعين مثلاً لم تحذف ، وكذلك لا تحذف إذا اقتصر على الجلالة ، ولم يذكر الرحمن الرحيم . كما في قوله تعالى: ﴿ باسم الله مجراها ﴾^(٤) ، كما نص عليه الشافعية »^(٥).

(١) «سورة العلق»: (١).

(٢) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٣١/١) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن»: (٦٥/١) .

(٤) «سورة هود»: (٤١) .

(٥) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٣١/١) ، حاشية (١) .

وموضع (بسم) رفع عند البصريين على إضمار مبتدأ تقديره: ابتدائي بسم الله . وقال الكوفيون: (بسم الله) في موضع نصب على إضمار فعل تقديره: ابتدأت باسم الله . وهو عند البصريين مشتق من (سما يسمو) ، وعند الكوفيين مشتق من (السمة)^(١) .

ب - لفظ الجلالة (الله): الأصل في اسم الله عز وجل (إلاه) ، ثم دخلت الألف واللام فصار (الإلاه)، فحذفت الهمزة بأن ألقيت حركتها على اللام الأولى، ثم أدغمت الأولى في الثانية، ولزم الإدغام، والحذف للتعظيم، والتفخيم .

وقيل: بل حذفت الهمزة حذفاً ، وعوض منها الألف واللام ، وألزمنا للتعظيم . وقيل: أصله (لاد) ثم دخلت الألف واللام عليه ، فألزمنا للتعظيم .

ووجب الإدغام لسكون الأولى من المثليين ، ودل على ذلك قولهم: لهي أبوك ، يريدون لله أبوك ، فأخروا العين في موضع اللام ؛ لكثرة استعمالهم له ، ويدل عليه أيضاً قوله:

لاه ابنُ عمِّك لا أفضلت في حسبٍ غني ولا أنت دِيَّاني فتخزوني^(٢) .

يريدون: لله . وقد ذكر الزجاج في بعض أماليه عن الخليل أن أصله (ولاه)، ثم أبدل من الواو همزة كاشاح ووشاح ، والألف في (لاه) منقلبة عن ياء دل على ذلك قولهم: لهي أبوك ، فظهرت الياء عوضاً من الألف . فدل على أن أصل الألف الياء^(٣) .

ومن خصائص لفظ الجلالة أنه يحذف منه واو القسم ، ويبقى اللفظ الكريم مجروراً ، وذلك قولهم: الله لأفعلن ، قياساً على (رَبِّ) حيث تُحذف ، ويبقى واوها ، وذلك كله لكثرة الاستعمال^(٤) .

(١) ينظر «مشكل إعراب القرآن»: (٦٦/١) .

(٢) «الخصائص»: (٢٨٨/٢) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن»: (٦٦-٦٧/١) .

(٤) «مشكل إعراب القرآن»: (٧٤٨/٢) .

قال سيبويه: « ومن العرب مَنْ يقول: والله لأفعلن ، وذلك أنه أراد الجرَّ وإياه نوى ، وجاز حيث كثرت في كلامهم ، وحذفوه تخفيفاً ، كما حذف رُبَّ في قوله:

وَجَدَاءَ مَا يُرْجَى بِهَا ذُو قَرَابَةِ لِعَظْفٍ وَمَا يَخْشَى السَّمَاءَ رَبِّهَا

إنما يريدون: رُبَّ جداء . وحذفوا الواو كما حذفوا اللامين من قولهم:

(لاه أبوك) حذفوا لام الإضافة ، واللام الأخرى ؛ ليخففوا الحرف على اللسان ، وذلك ينوون ، وقال بعضهم: لهيَ أبوك ، فقلب العين ، وجعل اللام ساكنة ، إذ صارت مكان العين ، كما كانت العين ساكنة ، وتركوا آخر الاسم مفتوحاً ، كما تركوا آخر (أَيْنَ) مفتوحاً ، وإنما فعلوا ذلك به حيث غيروهُ؛ لكثرتِه في كلامهم . فغيروا إعرابه كما غيروهُ » .

ومن الحذف الذي يخص الاسم الكريم في القسم ؛ لكثرة الاستعمال في قول مَنْ يقول من العرب: إي ها الله ذا ، (أي هلله ذا) فيحذف الألف التي بعدَ الهاء ، ولا يكونُ في القسم ها هنا إلا الجر ، لأنَّ قولهم: (ها) صارَ عوضاً من اللفظ بالواو فحذفت تخفيفاً على اللسان ، ألا ترى أنَّ الواو لا تظهرها هنا ، كما تظهرُ في قولك: والله ! فتركهم الواو ها هنا ألبتة ، يدلُّك على أنها ذهبت من هنا تخفيفاً على اللسان ، وعوضت منها (ها) ، ولو كانت تذهب من هنا . كما كانت تذهب من قولهم: الله لأفعلن ، إذن لأدخلت الواو . وأمَّا قولهم (ذا) فزعم الخليلُ أنه المحلوفُ عليه ، كآله قال: «إي والله للأمرُ هذا ، فحذف الأمرُ لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم »^(١) .

ج - (الرحمن) : وأمَّا لفظةِ الرحمن ، فقد حذفت منها الألف في الرسم للعلة نفسها ، وهي كثرة الاستعمال ، حيث كثر دورانها على ألسنتهم ، إذا رافقت البسملة بكاملها^(٢) .

(١) «الكتاب»: (٢/١٤٤ - ١٤٥) .

(٢) «الكتاب»: (٢/١٤٤ - ١٤٥) .

(٣) ينظر «مشكل إعراب القرآن»: (١/٦٥ - ٦٦) .

٢- حَذَفُ إِحْدَى اللَّامَيْنِ مِنَ الْاسْمِ الْمَوْصُولِ (المفرد والجمع) لكثرة الاستعمال: قال أبو البركات بن الأنباري: «قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...﴾»^(١)، الإفراد والجمع الأصل أن يكتب بلامين، إلا أنهم حذفوا إحداهما؛ لكثرة الاستعمال في الإفراد والجمع، بخلاف التثنية حيث كتبت بلامين على الأصل لقلة استعمالها»^(٢).

٣- (الناس): قال أبو البركات بن الأنباري: «قوله تعالى: ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ﴾»^(٣)، أصله (أناس)، عند أكثر البصريين، حذفت منه الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال، ولهذا لا يُقال (الأناس) إلا في الشاذ: إِنَّ أَشْيَاءَ بَطَلَعْنَ عَلَى الْآنَسِ الْأَمْبِنَا»^(٤).

٤- حذف حرف النداء مع لفظة (رَبِّ) سبحانه: ونداء الربِّ قد كثر حذف (يا) منه في القرآن، وعلة ذلك أن في حذف (يا) من نداء الربِّ تعالى معنى التعظيم له والتنزيه، وذلك أن النداء فيه طرف من معنى الأمر، لأنك إن قلت: يا زَيْدُ، فمعناه: تعال يا زَيْدُ، أدعوك يا زَيْدُ. فحذفت (يا) من نداء الربِّ ليزول معنى الأمر وينقص؛ لأنَّ (يا) تؤكد وتظهر معناه، وكان في حذف (يا) التعظيم والإجلال والتنزيه للربِّ، فكثر حذفها في القرآن، والكلام في نداء الربِّ لذلك المعنى^(٥) مع كثرة الدعاء بلفظه (رب)، ودورانها على الألسن مما استوجب التخفيف.

٥- حذف حرف الجر مع (أن) الخفيفة والثقيلة: قال مكي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿أَنْ تُنْزَلَ﴾»^(٦): «(أن)، في موضع نصب على حذف حرف الجر تقديره: من أن تنزل. ويجوز على قياس قول الخليل، وسيبويه أن تكون

(١) «سورة الفاتحة»: (٧).

(٢) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٣٩/١)، وينظر «مشكل إعراب القرآن»: (٧١/١).

(٣) «سورة الناس»: (٦).

(٤) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٥٥٠/٢).

(٥) «مشكل إعراب القرآن»: (٢٨٥/١).

(٦) «سورة التوبة»: (٦٤).

في موضع خفض على إرادة (من) ؛ لأنَّ حرف الجر قد كثر حذفه مع (أن) ،
فعمل مضمراً ، ولا يجوز ذلك عندهما مع غير (أن) ، لكثرة حذفه مع (أن)
خاصة ^(١) .

وقال في قوله تعالى : ﴿ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) : « (أن) » ، في موضع
نصب تقديره : بأنهم ، أو لأنهم ، فلما حذف الحرف ، تعدى الفعل فنصب
الموضع . و(أن) المفتوحة أبداً مشدودة ، أو مخففة ، هي حرف على انفرادها ،
وهي اسم مع ما بعدها ؛ لأنها وما بعدها مصدر يحكم عليها بوجوه الإعراب
على قدر العامل الذي قبلها . ويجوز أن تكون في موضع خفض بحرف الجر
المحذوف ، وهو مذهب الخليل لما كثر حذفه مع (أن) خاصة عمل محذوفاً
عمله موجوداً في اللفظ ^(٣) .

٦- حذف نون الوقاية: قوله تعالى : ﴿ أَنُحْجِرُنِي ﴾ ^(٤) ، مَنْ خَقَّفَ
النون ^(٥) ، فإنما حذف الثانية التي دخلت مع الياء التي هي ضمير المتكلم ؛
لاجتماع المثلين مع كثرة الاستعمال . وترك النون التي هي علامة الرفع ، فيه
قبح ؛ لأنه كسرهما لمجاورتها الياء ، وحقها الفتح ، فوقع في الكلمة حذف
وتغيير . وَمَنْ شدد أدغم النون الأولى في الثانية ، وله نظائر . ومن زعم أن
النون الأولى هي المحذوفة استدل على ذلك بكسرة النون الثانية ، وذلك لا
يجوز ؛ لأن النون الأولى علامة الرفع ، ولا يحذف الرفع من الأفعال لغير
جازم ولا ناصب ، ويدل على أن الثانية هي المحذوفة دون الأولى قولهم في
(ليتني) ليتي ، فيحذفون النون التي مع الياء ^(٦) .

٧- (هلم) : أصلها عند البصريين مركبة من (ها) للتنبيه ، و(الميم) بمعنى ؛

(١) «مشكل إعراب القرآن» : (١/٣٣٣) .

(٢) «سورة يونس» : (٣٣) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن» : (١/٣٤٥) .

(٤) «سورة الأنعام» : (٨٠) .

(٥) قرأ بتخفيف النون المديان وابن ذكران . ينظر «النشر» : (٢/٢٥٩) .

(٦) «مشكل إعراب القرآن» : (١/٢٥٨) .

اقصد إلينا ، وأقبل إلينا ، لكن كثر الاستعمال فيها فحذفت ألف الوصل من (الميم) ، فصارت: (هالم) ، فحذفت الألف من (ها) التنبيه ؛ لالتقاء الساكنين فصارت: (هلم) بعد نقل الحركة إلى اللام .

وقال الخليل: « هي مركبة من (ها) التنبيه ، و(لم) ، من لم الله شعثه ، أي جمعه ، وحذفت ألف (ها) التنبيه لكثرة الاستعمال فصارت (هلم) » .

وعند الكوفيين مركبة من (هل) التي ليست للاستفهام ، وإنما هي من (حيهل) ، و(أم) ، فحذفت همزة (أم) لكثرة الاستعمال ، وألقت حركتها على اللام فصارت (هلم) .

ولغة الحجاز بلفظ واحد ، وعند بني تميم تنسب للضمير ، فيقال للمرأة: هلمي ، وللاثنتين: هلمّا ، وللجمع: هلموا .

وقد فصل القول فيها كذلك مكي بن أبي طالب عند قوله تعالى: ﴿ هَلْ أُلِينَا ﴾ إلينا ﴿ ﴾^(١) ، كما ذكرها بالتفصيل ابن الأنباري عند قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ أَسْأَلُكُمْ ﴾ شهداءكم ﴿ ﴾^(٢) .

٨- حذف النون من مضارع (كان) المنجزم: قال سيبويه: « فما حذف ، وأصله في الكلام غير ذلك (لم أك) » ، وقال: « لأن الشيء إذا كثر في كلامهم كان له نحو ليس لغيره فما هو مثله ، ألا ترى أنك تقول: لم أك ، ولا تقول: لم أق ، تريد أقل »^(٣) .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا ﴾^(٤) ، قال مكي وابن الأنباري: « إنما حذفت النون من (يك) على قول سيبويه ؛ لكثرة الاستعمال » .

وقال المبرد: « لأنها أشبهت نون الإعراب يريد في قولك: تدخلين ،

(١) ينظر تفصيل المسألة في «شرح المفصل»: (٤٣-٤١/٤) ، و«الهمع»: (١٠٧-١٠٦/٢) .

(٢) «سورة الأحزاب»: (١٨) ، وينظر «مشكل إعراب القرآن»: (٣٤٨-٣٤٩) .

(٣) «سورة الأنعام»: (١٥٠) ، وينظر «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٣٤٨/١-٣٤٩) .

(٤) ينظر «الكتاب»: (٨/١) ، (٣١٠) .

(٥) «المؤمن»: (٢٨) .

وتدخلون ، وتدخلان ^(١) . وفي قوله تعالى : ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ ^(٢) ، كسرت النون لسكونها ، وسكون اللام بعدها ... ومثله : ﴿ قم الليل ﴾ ^(٣) ، وهو كثير في القرآن ، وفي كل فعل مجزوم مبني ، وعينه واو ، أو ياء ، أو ألف مبدلة من أحدهما ، ولا يحسن حذف النون من (يكن) ، في هذا على لغة مَنْ قال : ليس زيد قائماً ؛ لأنها قد تحركت ، وإنما يجوز حذفها إن كانت ساكنة في الوصل فتشبه بحروف المد واللين ، فتحذف للمشابهة ، وكثرة الاستعمال . وإذا تحركت زالت المشابهة ، وامتنع الحذف إلا في شعر (فقد أتى) حذفها بعد أن تحركت ؛ لالتقاء الساكنين ^(٤) .

٩- (أب واير) : قوله تعالى : ﴿ آيةهم أو آياتهم ﴾ ^(٥) ، أصل (أب)، (أير) على (نعر) ، دليله قولهم (أيران) ، في التشنية وحذف الواو منه ؛ لكثرة الاستعمال . ولو جرى على أصول الاعتلال والقياس لقلت : (آيك) ، في الرفع والنصب والخفض ، ولقلت : (أبا) ، في الرفع والنصب والخفض ، بمنزلة (عصا) ، و (عصاك) ، وبعض العرب يفعل فيه ذلك . ولكن جرى على غير قياس الاعتلال في أكثر اللغات ، وحسن ذلك ؛ لكثرة استعماله وتعرفه . فأما (ابن) ، فالساقط منه (ياء) ، وأصله (بني) مشتق من (بني يني) ، والعلة فيه كالعلة في (أب) - أي كثرة الاستعمال - وقد قيل إن الساقط منه واو لقولهم : (البنة) ، وهو غلط ، لأن البنة وزنها الفعولة ، وأصلها البنية ، فأدغمت الياء في الواو ، وغلب الواو للضمتين قبلها ، ولو كانت ضمة واحدة ؛ لغيرت إلى الكسر وغلبت الياء ، ولكن لو أتى بالياء في هذا الوجوب تغيير ضمتين فتستحيل الكلمة ^(٦) .

(١) «مشكل إعراب القرآن» : (٢/٦٣٦) ، وينظر «البيان» : (٢/٣٣٠) .

(٢) «سورة البينة» : (١) .

(٣) «سورة المزمل» : (٢) .

(٤) «مشكل إعراب القرآن» : (٢/٨٣١) ، و«البيان» : (١/٢٥٤) ، آية : ﴿ وإن تك حسنة ﴾ «النساء» : (٤٠) .

(٥) «سورة المجادلة» : (٢٢) .

(٦) «مشكل إعراب القرآن» : (٢/٧٢٣ - ٧٢٤) .

١٠- (لن): هي الناصبة للفعل عند سيبويه ، وقال الخليل: « أصلها ؛ (لا أن) ، فحذفت الهمزة لكثرة الاستعمال ، ثم حذفت الألف لسكونها ، وسكون النون فبقيت (لن) »^(١) .

قال سيبويه: « فأما الخليل فزعم أنها ؛ لا أن ، ولكنهم حذفوا ؛ لكثرته في كلامهم ، كما قالوا: ويلمه ، يريدون: وَيْ لأمه ، وكما قالوا: يومئذ ، وجعلت بمنزلة ، حرف واحد ، كما جعلوا (هلا) بمنزلة حرف واحد ، فأما هي: هل ولا ، وأما غيره فزعم أنه ليس في (لن) زيادة ، وليست من كلمتين ، ولكنها بمنزلة شيء واحد على حرفين ليست فيه زيادة ، وأنها في حروف النصب بمنزلة (نم) ، في حروف الجزم »^(٢) .

وقال ابن يعيش: « اعلم أن (لن) . معناها النفي ، وهي موضوعة لنفي المستقبل ، وهي أبلغ في نفيه من (لا) . لأن (لا) تنفي بفعل إذا أريد به المستقبل ، ولن تنفي فعلاً مستقبلاً قد دخل عليه السين ، وسوف . وتقع جواباً لقول القائل: سيقوم زيدٌ ، وسوف يقوم ... واعلم أنهم قد اختلفوا في لفظ (لن) .

فذهب الخليل إلى أنها مركبة من ، (لا وأن) ، الناصبة ... فحذفت الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين ، وهما الألف والنون بعدها فصار اللفظ (لن) . وكان الفراء يذهب إلى أنها (لا) ، والنون فيها بدل من الألف »^(٣) .

وقال السيوطي: « من نواصب المضارع (لن) ، والجمهور أنها حرف بسيط لا تركيب فيه ، ولا إبدال . وقال الخليل ، والكسائي: أنها مركبة من (لا أن) ، حذفت الهمزة لكثرة الاستعمال ، كما حذفت في قولهم (ويلمه) ، والأصل (ويل أمه) ، ثم حذفت الألف لالتقاء الساكنين ، ألف (لا) ونون (أن) فصارت (لن) ، والحامل لهما على ذلك قربها في اللفظ من (لا أن) ،

(١) «مشكل إعراب القرآن»: (٢/ ٧٣٥ - ٧٣٦) .

(٢) «الكتاب»: (١/ ٤٠٧) .

(٣) «شرح المفصل»: (٨/ ١١١-١١٢) .

ووجود معنى (لا وأن) ، فيها وهو النفي ، والتخليص للاستقبال ^(١) .

١١- (أخت وبنت) ^(٢) : من قوله تعالى: (يا أخت هارون) ، التاء في أخت ليست بأصل لكنها بمنزلة الأصل ، لأنها زيدت للإلحاق ، لأن أصل الاسم (أخوة) على (فعلة) ، فحذفت الواو ، وضمت الهمزة لتدل على الواو والمحذوفة ، كما كسرت الباء في (بنت) لتدل على الياء المحذوفة . وأصل بنت (بنية) ، فبقى الاسم على حرفين ؛ الهمزة والحاء ، فزيدت التاء والحق ببناء (فعل) والتصغير والجمع ، فتقول: أخية وأخوات ، وحذف الواو فيها على غير قياس ، وقيل لكثرة الاستعمال ، وكان القياس أن تقول في الواحد (خاء) تقلب الواو ألفاً ؛ لتحركها وانفتاح ما قبلها . وكذلك التاء في (بنت) ، زيدت لتلحق الاسم ببناء (جنس) ، لأن الياء فيها حذفت على غير قياس ، إلا أن بنتاً لا ترد الياء فيها في الجمع وترد في التصغير . تقول في التصغير (بنية) ، كما تقول في أخت (أخية) وتقول في الجمع (بنات) ، ولا تقول (بنيات) ، كما تقول (أخوات) ^(٣) .

١٢- حذف الألف من (ما) الاستفهامية إن دخل عليها حرف الجر: قوله تعالى: ﴿ فيم كنتم ﴾ ^(٤) ، (فيم) جار ومجرور في موضع نصب ؛ لأنه خبر كنتم . و (ما) هاء استفهامية ، ولهذا حذفت الألف منها لدخول حرف الجر عليها ، لأن (ما) إذا دخل عليها حرف الجر حذفت ألفها تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، ليفرق بين الخبر والاستفهام . ولم يحذفوا من (ما) في الخبر إلا في موضع واحد ، وهو قولهم: ادعُ بِمِ شئت ، أي بالذي شئت ، وما عداه فلا يحذف فيه الألف ^(٥) .

(١) «جمع الهوامع»: (٣/٢) .

(٢) «سورة مريم»: (٢٨) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن»: (٤٥٣-٤٥٤/٢) ، وينظر «البيان»: (١٢٣/٢ - ١٢٤) .

(٤) «سورة النساء»: (٩٧) .

(٥) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٢٦٦/١) .

١٣- (خيرٌ وشرٌ) : « ويقال : ما أخيره وخيره ، وأشره ، وشره ، وهذا خيرٌ منه وأخيرٌ منه ... وهو أخيرٌ منك ، وأشرٌ منك في الخيارة والشرارة بإثبات الألف ، وقالوا في الخير والشر : هو خيرٌ منك وشرٌ منك » ^(١) . قوله تعالى : ﴿ أولئك شرٌ مكاناً ﴾ ^(٢) . شرٌ أصله (أشرر) على وزن (أفعل) ، إلا أنه حذف الهمزة تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، وادغمت إحدى الراءين في الأخرى لاجتماع حرفين متحركين من جنس واحد ^(٣) ، وكذلك كلمة (خير) ، فاصلها (أخير) ، حذف الهمزة منها لكثرة الاستعمال .

١٤- حذف ياء الأضافة في النداء ، إنما تسقط ياء الإضافة في النداء لكثرة الحذف فيه والاستعمال . ومن الآيات التي ورد فيها حذف ياء الإضافة ، قوله تعالى : ﴿ يا عباد الذين آمنوا ﴾ ^(٤) ، و ﴿ يا بني أقم الصلاة ﴾ ^(٥) ، و ﴿ يا بني لا تشرك بالله ﴾ ^(٦) ، و ﴿ يا بني إنها ﴾ ^(٧) ، و ﴿ فبشر عباد الذين ﴾ ^(٨) ، و ﴿ يا بني اركب معنا ﴾ ^(٩) .

ويقاس عليه كل حذف لياء الإضافة ، والاجتزاء بالكسرة ^(١٠) .

١٥- (ابنَ أمِّ) ، (وابنِ عمِّ) : (ابنَ أمِّ) ^(١١) ، يُقرأ بفتح الميم وكسرها ، والحجة لمن فتح : أنه جعل الاسمين اسماً واحداً ، كخمسة عشر

مركز تحقيقات كامپيوتر علوم اسلامی

(١) « لسان العرب » : مادة (خير) .

(٢) « سورة المائدة » : (٦٠) .

(٣) « البيان في غريب إعراب القرآن » : (٢٩٨/١) .

(٤) « سورة العنكبوت » : (٥٦) .

(٥) « سورة لقمان » : (١) .

(٦) « سورة لقمان » : (١٣) .

(٧) « سورة لقمان » : (١٦) .

(٨) « سورة الزمر » : (١٧-١٨) .

(٩) « سورة هود » : (٤٢) .

(١٠) ينظر « الحجة » لابن خالويه : (١٨٧ ، ١٨٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٤ ، ٣٠٩) .

(١١) « سورة الأعراف » : (١٥٠) .

فبناه على الفتح . وقال الزجاجُ: إنما جازَ الفتح في هذا ، وفي (ابن عم) ، لكثرة الاستعمال . ألا ترى أنَّ الرجل يقول ذلك لمن لا يعرفه ، فكأنه لكثرة الاستعمال عندهم يخرج عَمَّنْ حوله ، فخفف الكلمتان بأن جعلتا واحدة ، وبنيتا على الفتح ، ولا يجوز ذلك في غيرهما ^(١) .

١٦- تخفيف (رَبَّ) : قوله تعالى: ﴿ رَبِّمَا يودُّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ﴾ ^(٢) ، قرئ (ربما) ، لتشديد والتخفيف ، والتشديد على الأصل، والتخفيف لكثرة الاستعمال ، وهما لغتان جيدتان ، وفيها لغات ^(٣) .

١٧- حذف التنوين في الأسماء المصروفة لغير الإضافة ولغير دخول الألف واللام ، وإنما لكثرة الاستعمال .

قال سيبويه: « وذلك كل اسم غالب وصف بـ (ابن) ثم أضيف إلى اسم غالب، أو كنية ، أو أم : وذلك قولك: هذا زيدُ بن عمرو ، وإنما حذفوا التنوين من هذا النحو حيث كثر في كلامهم » ^(٤) .

وقال ابن خالويه: « قوله تعالى: ﴿ وقالت اليهودُ عزيزُ ابن الله ﴾ ^(٥) ، يُقرأ بالتنوين وتركه . فلمن نوَّن حجتان: إحداهما - أنه وإن كان أعجمياً فهو خفيف وتماه في (الابن) ، والأخرى: أن يجعل عربياً مصغراً مشتقاً، وهو مرفوع بالابتداء و (ابن) خبره .

وإنما يحذف التنوينُ من الاسم لكثرة استعماله إذا كان الاسم نعتاً كقولك: جاءني زيدُ بن عمرو . فإن قلت: كان زيدُ بن عمرو ، فلا بُدَّ من التنوين لأنه خبر . وهذا إنما يكون في الاسم الذي عرف بأبيه وشهر بنسبه إليه ، والحجة لمن ترك التنوين جعله اسماً أعجمياً ، وإن كان مصغراً ، لأنَّ من

(١) «الحجة»: (١٦٤-١٦٥) ، وتنظر (يا ابن أم) (طه / ٩٤) ، «الحجة»: (٢٤٦-٢٤٧) .

(٢) «سورة الحجر»: (٢) .

(٣) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (٢/٦٣) .

(٤) «الكتاب»: (٢/١٤٧) .

(٥) «سورة التوبة»: (٣٠) .

العرب مَنْ يدع صرف الثلاثي من الأعجمية مثل: (لوط ، نوح ، عاد)^(١).

١٨- (أشياء) : جاءت على القلب لكثرة الاستعمال .

أصلها عند الخليل وسيبويه: (شياء) على وزن (فعلاء) ، فلما كثر استعمالها ، استثقلت همزتان بينهما ألف ، فنقلت الهمزة الأولى وهي لام الفعل قبل فاء الفعل وهو الشين ، فصارت (أشياء) على وزن (لفعاء) ، ومن أجل أن أصلها (فعلاء) ، كحمراء امتنعت من الصرف ، وهي عندهم اسم للجمع ، وليست بجمع شيء^(٢).

وعند الأخفش ، والفراء ، والزيادي: (أشياء) ، وزنها (أفعلاء) ، وأصلها (أشياء) ، كهين ، وأهوناء ، فمن أجل همزة التانيث لم ينصرف ، ولكنه خفف فأبدل من الهمزة الأولى ، وهي لام الفعل ياءً لانكسار ما قبلها ، ثم حذفت استخفافاً لكثرة الاستعمال ، فشيء عندهم أصله (شيء) على وزن (فيعل) كميّت ، ثم خفف إلا أن عين الفعل من (شيء) ياء ، وعين الفعل من (هين) واو ، لأنه من (هان يهون)^(٣).

وقال بعض أهل النظر: « (أشياء) ، أصلها ، (أشياء) ، على وزن (أفعلاء) ، كقول الأخفش . إلا أن واحدها (فاعيل) كصديق وأصدقاء ، فاعل على ما تقدم من تخفيف الهمزة ، وحذف العوض ، وحسن الحذف في الجمع ؛ لحذفها من الواحد ، وإنما حذفت من الواحد تخفيفاً لكثرة الاستعمال ، إذ شيء يقع على كل مسمى من عرض ، أو جسم ، أو جوهر ، ولم ينصرف لهمزة التانيث في الجمع ... »^(٤).

(١) «الحجة»: (١٧٤) .

(٢) ينظر «الكتاب»: (٣٧٩-٣٨٠) .

(٣) ينظر «المقتضب»: (٣٠/١) ، و«معاني القرآن»: (٣٢٣/١) .

(٤) «مشكل إعراب القرآن»: (٢٣٨-٢٤١) .

١٩- (هار) : جاء على القلب لكثرة الاستعمال .

قوله تعالى : ﴿ جَرَفَ هَارٌ ﴾ ^(١) ، (هار) أصله (هائر) . وقال أبو حاتم : أصله (هاور) ، ثُمَّ قلب في القولين جميعاً ، فصارت الواو والياء آخراً فحذفها التنوين ، كما حذف الواو والياء من (غاز ورام) ، وذلك في الرفع والخفض . . . وأجاز النحويون أن يُجرى (هار) على الحذف ، ولا يقدر المحذوف ؛ لكثرة استعماله مقلوباً فيصير كالصحيح ، تعرب الراء بوجوه الإعراب . ولا يرد المحذوف في النصب ، كما يفعل بغاز ورام ، ومن رأى هذا جعله على وزن (فَعَلَ) ، كما قالوا : يومكم راحٌ ، فرفعوا وهو مقلوب من (راح) ، لكنهم لما كثر استعمالهم له مقلوباً جعلوه (فعلاً) ، فأعربوه بوجوه الإعراب ، ويجوز عندهم أن يُجرى على القياس كغاز ورام ، فيكون وزنه فعلاً مقلوباً إلى فاعٍ ، ثُمَّ يُعَلُّ ؛ لأجل استثقال الحركة على حرف العلة ، ودخول التنوين كما أعلوا قولهم قاض ورام وغاز في الرفع والخفض ، وصححوه في النصب لخفة الفتح ^(٢) .

٢٠- الاستعمال في غير الأصل الذي إشتق منه : ومن ذلك قولهم (تعال) . ففي قوله تعالى (بالتعال) ^(٣) ، دليل على أن اللغة تؤخذ سماعاً لا قياساً ، إذ يقولون : (الله متعال) من تعالٍ ، ولا يقولون : (متبارك) من (تبارك) . وأما قولهم : تعال يا رجل . فأصله (ارتفع) ثُمَّ كثر استعماله حتى قيل لمن في أعلى الدار ، تعال إلى أسفل . فإن قيل كيف تنهى من قولك : (تعال) ؛ لأنَّ نقيض الأمر (النهي) ؟ فقل : إنَّ العرب إذا غيرت كلمة عن جهتها ، أو جمعت بين حرفين ، أو أقامت لفظاً مقام لفظٍ ألزمتها طريقة واحدة ، كالأمثال التي لا تنقل عن لفظ مَنْ قيلت فيه أبداً ، كقولهم في الأمر : هَلَمْ وهات يا رجل .

وصة ومة ، فأمرت بذلك ، ولم تنه منه ، لأنها حروف أفعال ، وضعت

(١) «سورة التوبة» : (١٠٩) .

(٢) «مشكل إعراب القرآن» : (١/٣٦٦-٣٦٧) .

(٣) «سورة الرعد» : (٩) .

معانيها لأمر فقط ، فأجريت مُجرى الأمثال اللازمة طريقة واحدة بلفظها ^(١) .

وقال مكي في قوله تعالى: ﴿ فتعالين ﴾ ^(٢) : « وهو من العلو ، وأصله (الارتفاع) ، ولكن كثر استعماله حتى استعمل في معنى (أنزل) ، فيقال للمتعالى ، تعال ؛ أي انزل » ^(٣) .

٢١- (كآين) : وهذا أيضاً من التغير عن الأصل .

قوله تعالى: ﴿ وكآين ﴾ ^(٤) ، هي (أي) ، دخلت عليها كان التشبيه فصار الكلام بمعنى (كم) ، وثبت في المصاحف بعد الياء نون ، لأنها كلمة نقلت عن أصلها : فالوقف عليها بالنون اتباعاً للمصحف . وعن أبي عمرو أنه وقف بغير نون على الأصل ؛ لأنه تنوينٌ . فأما مَنْ أخرج الهمزة وجعله مثل : (ذعر) ، وهو ابن كثير فقليل أنه : (ذعر) من الكون . وذلك بعيد لآتيان (من) بعده ، ولبنائه على السكون ^(٥) .

وقيل هي كاف التشبيه دخلت على (أي) ، وكثر استعمالها بمعنى (كم) ، فصارت كلمة واحدة ، فقلبت الياء قبل الهمزة ، وصارت (كيء) ، فخفف التشديد ، كما خففوا ميتاً وهيئاً ، فصارت (كيء) مثل : (فيعل) ، فصارت (كآين) ، وأصل النون التنوين ، فالقياس حذفه في الوقف ، ولكن مَنْ وقف بالنون اعتل بأن الكلمة تغيرت ، وقلبت فصار التنوين حرفاً كالأصل ^(٦) .

٢٢- استبعاد الأصل لقلة الاستعمال كما في قوله تعالى: ﴿ ثلاثمائة سنين ﴾ ^(٧) ، مَنْ نوّن المئة استبعد الإضافة إلى الجمع ، لأنَّ أصل هذا العدد أن

(١) «الحجة» : (٢٠١) .

(٢) «الأحزاب» : (٢٨) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن» : (٥٧٦/٢) .

(٤) «سورة آل عمران» : (١٤٦) .

(٥) ينظر «النشر» : (٢٤٢/٢) .

(٦) «مشكل إعراب القرآن» : (١٧٥/١) ، وينظر «الكتاب» : (٣٧٨/٢) ، و«شرح الرضى» : (٢٥/١١) .

(٧) «سورة الكهف» : (٢٥) .

يضاف إلى واحد تبين جنسه . . . ومن لم ينون أضاف مئة إلى سنين ، وهي قراءة حمزة والكسائي ^(١) ، أضافاً إلى الجمع كما يفعلان في الواحد ، وجاز لهما ذلك ؛ لأنهما إذا أضافا إلى واحد فقالا: ثلاثمائة سنة ، فسنة بمعنى سنين ، لا اختلاف في ذلك ، فحملاً الكلام على معناه ، فهو حسن في القياس ، قليل في الاستعمال ، لأن الواحد أخف من الجمع ، وإنما يبعد من جهة قلة الاستعمال ، وإلا فهو الأصل ^(٢) .

٢٣- بقاء حركة الفتح في (بين ودون) ، مع وقوعها مرفوعة لكثرة الاستعمال ، وهذا عند الفراء .

قال مكّي: « قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ ^(٣) اسم كان مضمراً فيها، والتقدير: كان الإنفاق بين ذلك قواماً . وقواماً خبر كان : أجاز الفراء أن يكون (بين ذلك) اسم كان وهو مفتوح ، كما قال: ﴿ وَمَنْ ذُوْنَ ذَلِكَ ﴾ ^(٤) ، فدون عنده مبتدأ وهو مفتوح ، وإنما جاز ذلك ، لأن هذه الألفاظ كثر استعمال الفتح فيها فتركت على حالها في موضع الرفع ، وكذا يقول في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ ﴾ ^(٥) ، وهو مرفوع بتقطع ، لكنه ترك مفتوحاً لكثرة وقوعه كذلك والبصريون على خلافه ^(٦) .

٢٤- همزة (أل) للقطع ، وصارت وصلاً لكثرة الاستعمال:

قال مكّي: قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَلِكْ ﴾ ^(٧) ، و﴿ أَلَمْ يَلِكْ ﴾ ^(٨) .

(١) ينظر «النشر»: (٣١٠/٢) .

(٢) «مشكل إعراب القرآن»: (٤٤٠/١) .

(٣) «الفرقان»: (٦٧) .

(٤) «سورة الجن»: (١١) .

(٥) «سورة الأنعام»: (٩٤) .

(٦) «مشكل إعراب القرآن»: (٥٢٦-٥٢٥/٢) .

(٧) «سورة آل عمران»: (١ ، ٢) .

(٨) «سورة البقرة»: (١ ، ٢) .

فأما فتحة الميم ، فيجوز أن تكون فتحت لسكونها ، وسكون اللام بعدها يقصد بفتحة الميم من الحروف المقطعة ، وسكون اللام من لفظ الجلالة ، إذ يقرأ - ميم الله - ويجوز أن تكون فتحت ؛ لأنها نوي عليها الوقف ، فألقى عليها حركة الوصل المبتدأ بها ، كما قالوا : واحد اثنان ثلاثة أربعة ، فألقوا حركة الهمزة من أربعة على أربعة على الهاء من ثلاثة وتركوها على حالها ، ولم يقلبوها تاء عند تحريكها إذ النية فيها الوقف .

وقال ابن كيسان : « ألف (الله) وكل ألف مع لام التعريف قطع بمنزلة (قد) ، وإنما وصلت لكثرة الاستعمال . فمن حرك الميم ألقى عليها حركة الهمزة التي بمنزلة (قد) من الله . ففتحها بفتحة الهمزة . وأجاز الأخفش كسر الميم لالتقاء الساكنين ، وهو غلط لا قياس له لثقله » .

٢٥ - إعمال المعاني في الظروف ؛ لكثرة عددها في الكلام بخلاف المفعولات : قوله تعالى : ﴿ فكيف إذا جمعناهم ^(١) ﴾ ، كيف سؤال عن حال ، وهي هنا تهديد ووعيد ، وموضعها نصب على الظرف ، والعامل فيها المعنى الذي دلت عليه (كيف) تقديره : فعلى أي حال يكون حين يجمعون ليوم لا شك فيه ، والعامل في (إذا) ما دلت عليه (كيف) ، والظروف متسع فيها تعمل فيها المعاني التي يدل عليها الخطاب بخلاف المفعولات ، فهذا أصل يكثر دوره في القرآن والكلام ^(٢) .

٢٦ - التحريك في الكسر إلى الفتح لكثرة الاستعمال ، أخذوا بالحركة الخفيفة ، وتجاوزوا الثقيلة - الكسرة - من ذلك قوله تعالى : ﴿ من الناس ^(٣) ﴾ ، حركت نون (من) لالتقاء الساكنين ، وكان الفتح فيها أولى من الكسر ، وإن كان الكسر هو الأصل ، لانكسار ما قبلها وكثرة الاستعمال . ألا ترى أنهم قالوا : (عن الناس) ، فكسروا النون لفتحة العين قبلها وجوزوا كسرة النون

(١) «مشكل إعراب القرآن» : (١/١٥٣-١٥٤) .

(٢) «سورة آل عمران» : (٢٥) .

(٣) «مشكل إعراب القرآن» : (١/١٥٣-١٥٤) .

(٤) «سورة البقرة» : (٨) .

في قولهم: (من ابنك) ، لعدم كثرة الاستعمال ، وإن وجدت الكسرة قبلها^(١) .

٢٧- فتح حرف المضارعة من الفعل الثلاثي لكثرة الاستعمال ، وضم حرف المضارعة من الرباعي لقلة الاستعمال .

قوله تعالى: ﴿ ولا يحزنك قولهم ﴾^(٢) ، قرئ بفتح الياء وضمها ، فمن قرأه بالفتح جعله من (حَزَنُهُ) ، وهو فعل ثلاثي ، وحرف المضارعة من الفعل الثلاثي مفتوح العين للفرق بينه وبين الرباعي . ومن قرأ بالضم جعله من (أَحْزَنُهُ) ، وهو فعل رباعي ، وحرف المضارعة من الفعل الرباعي مضموم ، وإنما فعلوا ذلك للفرق بينهما ، وإنما كان الثلاثي أولى بالفتح ، والرباعي أولى بالضم ، لأن الثلاثي أكثر والرباعي أقل ، فأعطوا الأكثر الأخف وهو الفتح ، وأعطوا الأقل الأثقل وهو الضم ، ليعادلوا بينهما^(٣) .

٢٨- عدم تسكين المفتوح في حالة التخفيف في جملة من الحالات ، من ذلك: قوله تعالى: ﴿ من الرُّهْب ﴾^(٤) ، وقيل الرهب هاهنا (الكم) ، تقول العرب: أعطني ما في رهبتك . فإن صحَّ ذلك ، فإسكانه غير واجب . لأنَّ العرب تسكن المضموم والمكسور ، ولا تسكن المفتوح . ألا ترى إلى حكاية الأصمعي عن أبي عمرو ، وقال: قلتُ له: أنت تميل في قراءتك إلى التخفيف فلم لا تقرأ: ﴿ يدعوننا رغباً ورهباً ﴾ بالإسكان ؟ فقال لي: ويلك أجمل أخف أم جمل ؟^(٥) .

٢٩- الإمالة لكثرة الاستعمال: من ذلك إمالة (النار) ، وتفخيم (الجار) ؛ لكثرة دوران الأولى على الألسن ، وقلة الثانية^(٦) ، وإمالة (الكافرين) ،

(١) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (١/٥٣ ، ١٣٢) .

(٢) «سورة آل عمران»: (١٧٦) .

(٣) «البيان في غريب إعراب القرآن»: (١/٢٣١-٢٣٢) .

(٤) «سورة القصص»: (٣٢) .

(٥) «الحجة»: (٢٧٧) .

(٦) ينظر «الحجة»: (٦٧) .

وعدم إمالة (الجبارين والشاكرين) ؛ لكثرة الأولى ، وقلة الثانية والثالثة ^(١) .

٣٠- ضم العين من (العُيون) ، والجيم من (الجيوب) ، وكسر الباء من (البيوت) ، حيث أبقوا الأولى والثانية على حالها ، وكسروا الباء من البيوت ، حيث أبقوا الأولى والثانية على حالها ، وكسروا الباء من البيوت لكثرة الاستعمال ^(٢) .

من هذا العرض يتبين لنا أنَّ العرب تخفف ما كثر استعماله بأنواع من التخفيف ، سواء كان ذلك بحذف ، أو بقلب ، أو بتغيير عن الأصل ، أو بإعلال أو بإبدال ، أو بإمالة ، في حين أنهم يعمدون إلى تشغيل ما قل دورانه ليعادلوا بين الأمرين وللتفريق بينهما . والله أعلم .



(١) المصدر نفسه : (٧٣) .

(٢) المصدر نفسه : (٩٣-٩٤) .